

المراثي

المراثية الاولى

- ١ -

أي شيء يحمل الان قناديلك في الريح ويمضي
بعدهما كنت بنهديك زقيرا
وبعينيك ظللما وطهورا
بعدهما كنت الدم الاخضر في صدري انطقت
صرت مسمارا بتابوتي ، فلا اعرف من مات .

كفكفى غرغرة الروح بعينيك ايا خنجر موتى .
انا مت أم الميت أنت ؟!

حدثني عني التراب
سكب الليل بجنبى الغياب
وأنا أحفر صمتي
علني القف صوتا ضائعا في رثتيه
ربما ترقد فيه من تعاويذك رؤيا وصلاة . .

- ٢ -

ها هو الباب الذي لا يمرق العابر منه
آه يا تعويذة القلب التي ضيعها السجن عليا
حدثيني عن رؤى العرس الترابي الذي
يشنقني يوما فيوما

وانظريه يسكب الرهبة في الروح فلا
أعرف من فيئك نوما
علميني آية السر ، افتحي الباب الذي أيسسه
الخوف العميق
اقتليني قبلما يطلقني العالم في صدر النهار . .

- ٣ -

اسكبي من دمك الشهري في كأس الردى
الظامىء جرعة

عله يعرف سرى
واسكبي من شفتيه من دم العذرة كوبا
عله يعرف ما احمله منك بصدري
عله يسمع اجراسي التي تندب رعبا .
أطعمية البليل الهاجع في نهديك ، مدى
فوقه الفىء الذي يطرح خمرا وجنونا وغراما

عله يعرف ما ضيع منى
غافلي الموت وعودي شبعا يشعل في القلب الرماد
ثم يطويني بعينيه ويمضي . .

- ٤ -

حينما ينكرني وجه النهار
سوف أسقيه من الثدي الذي يولد من رمة امسي
حينما يصمت من دهشته ناقوس قلبي
سوف امضي حينما ينتصف الليل وحيدا

واناديك لكي أبدأ عرسى
ربما قابلتني فوق ظلام الارض من غير انتظار
ربما أطلقك الموت لكي أعبر جسر الظلمات . .

ها هو الجسر الذي يعبره الحي وفي جبهته شارة
عري وهزيمه

وأنا أضرب في ملحمة الارض غربيا
أشرب الرهبة والجوع الصليبا
فاملأى باللبن الاسود ثديا ناضبا
واسقي دمي حتى يغيبا
انقذيني قبلما تبعدني الريح الرجيمه . .

المراثية الثانية :

طينة الصمت التي تنغل دودا
أكلت قلبي الوحيدا
وأنا انتظر القبر أن يهبط في غيمة حزنى
يلقط الزوان منى
يترك القلب بريئا وسعيدا

تسرح الطينة في زناتي تأكل قلبي
وأنا اصعد جسرا درجي الظلمات
فأرى جمجمتي تسقط منى
ويدوي صوتها المرعب بين الفلوات
وأراها . . عشتت فيها العصافير الغريبه . .

أيها الطير الذي ينبس في جمجمتي ليل نهار
أعطني جرعة قنّب
ارمني في جزر الافيون كي أحلم احلامي الرهيبة
وانتظرنى أيها الرعب على شاهدها المعتم ،
في الليل أعود

مغمض العين ثقيل الخطوات
أسمع الارض تناديني فأنسى الصلوات
آه . . يا أمي ارحميني واسلخي عني النهار
بعدهما يهجرنى الوجه الذي يرقد في جمجمتي شمعة
نار . .

المراثية الثالثة :

ما الذي اعجلنا يوم التقى طائرنا الظامىء بالنبع العميق
ما الذي اعجلنا يوم التقينا
فارتشفنا قبلتنا
وانتظرنا هاجس الخصب الذي يضرب ما بين العروق !!
نحن لم ننظر يدا واهبة ترحم فينا طينة الارض البريئة
فتوجعنا سرورا

وانطلقنا في فجاج الالسم الدافق بالحسب وبالنسل
السديمى الرهيب
وانطلقنا نسأل الليل سريرا ،
نسأل الريح قماطا وزجاجات حليب . .

ما الذي اعجابنا يوم التقينا
فانطلقنا في فجاج الزمن الاخرس ، غنينا سويا
واستضاءت في فؤادينا قناديل الدم المعتم ،
غنينا سويا

وانطلقنا نبدأ العمر زافا دمويا
فتوجعنا من النسل الضبابي الذي يصرخ فينا ..

ما الذي أعجلنا حتى نسينا
مغرب الشمس التي تشرق فينا !!
نحن لم نسمع من الطين موائيق المخاض الابدي
نحن لم نسمع من العرس الرهيب الدموي
آية الشمس التي لا تدرك الليل ولا يدركها عصر الجليد
فانطلقنا للغياب ..

المرثية الرابعة :

ها أنا .. جمجمتي بين يديا
وأنا اضحك في ليلة رعي .

ربما ينعس في الظلمة صوت العربات
ربما ترحمني الارض من الصوت الذي ينهش قلبي
وأنا أضحك في الريح التي تخطف قلب الفلوات
علها تغلق ابواب جنوبي
علني أبدا تغريبة حزني ،
فأرى قبرك الاخضر قد حط عليا ..

ها هو السلم .. لا اعرف ميعاد صعودي
وأنا أتكيء الان على مضجع صمت وغبار
أشرب الكأس التي فاضت بجنيبك وأبقيت بها
سؤر نبيذ وصديد
أسمع الطين لكئي نبدأ - من اخر ما قال - الحوار ..

ها هي الارض التي اوجعها الليل وادمتها مهاميز
الجدور
تشرب الرغوة والفطر ، يطير العفن الاخضر بين
الزفرات

تسكب الطينة في صحفة روجي
وأنا أوغل في الارض ولا اغمض عيني
وأرى قشرة رأسي علقا يأكل مني
ثم لا يبقى سوى عيني التي تنظرك الان تقومين
من الظلمة ضوءا ورياحا وجنونا

حرة الخطوة ملاى بعبير الطرقات
ثوبك الطائر شمس يترضاها بكايا
آه لو ابقت لي الارض يدا ، أو ابقت
الديدان في حلقي لسانا

المرثية الخامسة :

حدثتك الارض عشرين ربيعا
سطرت انجيلها العشبي في جنبيك ، صبت
روحها الطائر من عصر السديم

ورمت غرينها الاخضر صيفا بعد صيف
فتضمرت نضوجا وفصولا ثمريه
كي تموتي .. كانت الارض وكانت أبعده
كي تموتي طرح الافق طيورا قمريه
أشرقت من ابط الصيف شמוש دمويه
فتفجرت عناقيد زجاج وعصير ودماء
يا لنهديك اللذين امتلا من لبن الارض غناء
ومن الشعر عويلا واساطير فصول رحميه
آه يا موسمك الطائر بالخصب المميت !!
حملتنا افرع من شجر الليل ، انتظرنا
عرسنا الهاجع في صمت الجدور
وهوت خفاشة الملح من الظلمة ، حطت
فوق نهديك وطارت بعدما اسقطك
الليل وابقاني وحيدا ...

آه يا موسم حزني ودخاني
ها أنا .. اشرب من غيم الثواني
والثواني التهببت جدبا قلم ترو جنوبي
فاسقني يا شجر الليل من الخصب المميت
اسقني يا قمري التائه ، واغرس نصلك الاخضر
في قلبي السجين
علني اسقط في الصمت اذا حطت من الخصب مواعيد
السقوط ..

المرثية الاخيرة :

هذه نحلة قلبي
أضمرت خضرة عينيها وحطت في زهوري الدمويه
ختمت قلبي بأقراص من الشمع ، وصبت سكرات
ذهبيه

أمطرتني بالنجوم العسليه
وأنا أمرق في الليل بريثا وسعيدا
مغمض العين خفيف الخطوات
أسمع الليل يناديني خلال الفلوات
أسمع الطينة والعشب وأجراس السواقي العبشييه
وعلى رأسي اكليل ندى يغسل آثار دخاني
والثواني ولدت فوق نواطير المساء الخشبييه
عنا يغسل طيني ،
ثمرا يعصر فتي الضحكات ،
مطرا يطاقني فوق حصان القمر الاخضر كي أرحل
عبد الشرفات الشبحيه

ها أنا أرحل في الريح نهارا فنهارا
طافحا بالشعر والرقص ،
تعريت لكي ادخل من اضيق باب
فأنا في مدن الصمت غريب انهجي الطرقات
- التمه على الصفحة ٦٤ -

.. الا ترى عليهم هيئة الجرمين ؟ (يخرج من
الاكفان شاب بشياب العمال .. اضاءة شديدة
.. السائق وطم وطوطو يساعدونه على
النهوض ، وينفضون عنه الغبار)
نبيه - انظري .. ليس الذي دعوته ..
انه شخص اخر .
الزوجة - يا الهي !! لقد صار شابا ..
ليس عجوزا على الاطلاق .
نبيه - تاخرنا في دفنه .
الزوجة - اه .. لقد نضج في الاكفان هذه
المدة الطويلة .
(الاخرون يصافحون الشاب وهو يتسم
متعبا كأنه مقبل من سفر بعيد)
طمطم - والله يا اخي ، خفنا عليك في هذه
الاكفان .
السائق - كنا نعرف ولا نجد الشجاعة .
الحمد لله ، نجوت في الوقت المناسب .
طوطو - والله ، قلبي تقطع عليك وانت
تتحمل العذاب .
(الزوجان متكومان في ناحية)
نبيه - الخونة .. انهم يعرفونه .
الزوجة - وتأمروا علينا .. من يصدق
هذا !! (لوطو) انت مفاصلك متيبسة ولا
تستطيعين الانحناء ؟!

طوطو - هذه وراثة يا ست .. كل عائلتي
مفاصلهم يابسة ولا يستطيعون الانحناء .
نبيه - (لطمطم) انتبه .. سالفى عفدك .
ولن اجده ولو ركمت امامي ..
طمطم - خذ .. هذا هو العقد .. انقمه
وتشرب « ميته » .. ساتركك الى ملاعق
السمن تدهنها على مهلك كما تشاء .
الزوجة - (للسائق) حتى انت يا عبدو؟
السائق - نعم يا كليوباترا .. لقد سمعت
السواقة بيد واحدة . ثم انهم بحاجة الى
سائق هناك . هيا يا اخوة .. الاخرون في
انتظارنا .. تاخرنا عليهم كثيرا .
طمطم - هيا .. افسح الطريق .
(يخرجون)
نبيه - (يحاول أن يلحق بهم فتمسكه
زوجته) .. اتركيني افتك بهم .
الزوجة - دعهم يذهبون ، خلصنا من
شرمهم .. ألم تسمع ؟ انهم اعضاء في عصاية
رهيبة .
نبيه - لا يمكن ان يفلتوا بهذه البساطة .
لا بد ان اضرب واحدا منهم فاسبب له عاهة
مستديمة .
الزوجة - حرام يا بك .
نبيه - رفع السكين في وجهي . هذه اهانة

.. اهانة لدم الاجداد الذي يجري في
عروفي .
الزوجة - معلش يا بك .
نبيه - (بصوت باك) هل ابلغ الاهانة بهذه
البساطة ؟!
الزوجة - ابلغها يا بك .
نبيه - لقد انهدم النظام .. انهدم كل
شيء .
الزوجة - سلمت لنا الجرة .. انهم لم
ينتهبوا الى الجرة .
نبيه - اه الجرة ؟! لقد استيقظ صاحبها
الان .. والشيطان وحده يعلم ما سوف
يفعله . اه صديري .. صديري يؤلني .
الزوجة - ألم نقل انك شفيت ؟
نبيه - حين كان في الكفن كنت في صحة
جيدة .. اما الان .. اه . (يمشي وهي
نسنده) الملعون خدعنا .. كلهم خدعونا .
الزوجة - نعم ، نحن ضحية خداع .. خداع
رهيب .
نبيه - هذه ليست حياة .. انها غابة ..
غابة متوحشين .
ستستسار

نديم خشفة

المراثي

- تنمة المنشور على الصفحة ٢٧ -

فأرى وجهك ينشق من الليل نهارا
وأنا اسقط ما بين يديك
أسند الرأس الى منكبك الرحب والقي
ثمر الارض اليك
وأرى في لون عينيك قناديل السلام .

أمهليني واطرحي مزهرك الصامت .. كوني في انتظار
وخذيني في الليالي القمرية
عندما يثقلني الشعر ويأتي موسم يملأ روحي
بالاساطير الحرار ..

وعلى شاطئها امضغ ملحاً وهجيراً
وبنافورتها انعس يوماً واضيع ..

ها انا اغرق في بحر التجاريب التي تغرس في
قلبي نصلاً بعد نصل

أشرب الارض اساطير دماء
ونوافير غناء

وأنا مغرورق العينين رعباً وغراماً وسروراً
في انتظار الموسم الطيب ان يملأ قلبي بالثمار
في انتظار الارض ان تملأ روحي بالاساطير الحرار
علني تدركني رحمة موتي